مجلة المنهل-المجلد: 08، العدد: 01 (2022م)-ص ص 819 - 834
ISSN :2437 - 1068 ●EISSN8392-2710

الوَظِيفةُ التواصليةُ للفِعْلِ الكَلاميّ فِي الدَّرسِ البلاغيّ
ـ دلائل الإعجاز لعبدِ القاهِرِ الجُرْجَانِي نموذجا ـ

The Communicative Function of the Speech Act in the Grammatical Lesson: Selecting Abdul-Qahir Al-Jurjani'sDala'ilul-I'jaz .

د. اسمهان ميزاب (*)
مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية.
جامعة الوادي (الجزائر)
mizab-ismahene@univ-el-oued

د. رحيم كريم عليّ الشريفيّ
كليّة العلوم الإسلاميّة
جامعة بابل (العراق)
Dr.husseinfatli@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/01/15	2022/05/04	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

لَا جَرَم أَنَّ قضيّةَ الإعجاز القُرآني شَغَلتْ مِساحَةً كبيرةً في الدراسات اللغوية على مرّ العُصُور، وَمِن الذينَ تَصَدّوا لهذهِ القضيّة رائدُ التنظيرِ الفكريّ فِي المَنْظُومةِ اللّغويّة الشَّيْخُ عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي (ت 474هـ) الذي يَرى أَنَّ القُرآنَ الكريمَ مُعْجِزٌ بنَظْمِهِ وتأليفِهِ مِنْ جِهَةٍ، و قادر على الوُصُولِ إلى أَعْلى دَرجاتِ التَّواصُل والإبلاغ والإنجازِ والتأْثيرِ فِي نُفُوسِ المُخاطبين والمُتَلقين مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

ويَبْدو أَنَّ إحاطةَ الشَّيْخ عبدِ القاهِرِ الجرجانيّ بعلومِ العربيّةِ، وأُسس التَّشريعِ اللّغويّ الدقيقةِ ذات السِّمات والخصائِص السامية قادَتْه إلى تأسيسِ عِلْمِ المعاني الذي يُعْنى بعمليّةِ صحّةِ الكلام وحُسْنِه وفَحْصِ قدرةِ المُتكلّم في إيصالِ الخِطاب والرّسالة الإبلاغيّة بأَبْهَى صورةٍ وأَروعِ بيانٍ وأَنجعِ تأْثيرٍ، وهو ما عُبِّرَ عنهُ فيما بَعْدُ بـ: (مُطَابقَة الْكَلَام لِمُقْتَضى الْحَالِ) .

ومَزَجَ بينَ عِلْمِ النَّحْو، وعِلْمِ البَلاغَةِ مزجًا رائِعًا، فكانَ مِنْ المحتفين بالوَظيفَةِ التَّواصُليّة التّداوُليّةِ للأفعالِ الكلاميّةِ ، وكذا الإنجازيّة والتأثيريّةِ التّي ينشدها المُتكلّم.

هذا التَّحليلِ النَّحويّ في دلائِلِ الإعجازِ جاءَ فِي ضوءِ القِراءةِ الفاحصةِ للنُّصوص، فتَحَوْصَلَ البحثُ في الوظيفةِ التواصليّةِ الإبلاغيةِ ، إذْ سنُعاينُ الجِهازَ التَّواصُليَّ للرسالةِ البيانيةِ (المُتكلّم، والمُتلقي والخِطابِ)، بوصفِها عناصرَ مترابطةً في خَلْقِ عُنْصرِ الإفادةِ والإبلاغِ والإقناعِ والإمتاعِ .

الكلمات المفتاحية:

الوظيفةُ التَّواصلية؛ الفِعْلُ الكَلامي؛ التَّداوُليةُ؛ قصديّةُ المتكلّمِ؛ النّظم.

(*) المؤلف المراسل.

Abstract :

No offense that the inimitability of the Qur'an has occupied a vast area of the humanan cognitive thought over the previous centuries. One of those who have undertaken this question is the forerunner of intellectual theorization in linguistic organization is Shaikh Abdul-Qahir Al-Jurjani(died 474 A H) who sees that the glorious Qur'an is inimitable in its composition and compilation, on the one hand, and in the ability of this excellent composition, fascinating compilation, wonderful texture and marvelous framing to reach the highest degrees of communication, informing, performance and effectiveness in the souls of the addresseesand the receivers on the other hand.

It seems that Abdul-Qahir Al-Jurjani's mastery of Arabic linguistics which represents the cognitive essentials and the bases of the sublime linguistic legislation has led him to establish semantics which concerns itself with the process of speech correctness and its quality together with inspecting the speaker's ability to deliver the discourse and the informative message through the most gorgeous picture, most magnificent rhetoric and most successful effectuation which is later called(the agreement of speech to the context of situation: speech appropriateness).

He combined grammar and rhetoric fabulously and elegantly in an unfamiliar way. Hence, he became one of the forerunners of the communicative-pragmatic function of speech acts and also the illocutionary and perlocutionary effects sought by the speaker.

This anticipatory observation of grammatical analysis in his book Dala'il Al-I'jaz occurred in the light of a closereading of the texts. Hence, the research has resulted in the communicative informative function for we will investigate the communicative triangle of the message (speaker, receiver and discourse) being related elements in creating the components of benefir, informativity, persuasion and entertainment.

Keywords:

the communicative efunction; the speech act; pragmatics; speaker's intention ;speech composing

1ـ مقدمة

لَا يَخْفَى عَلى أَحدٍ أنَّ للقرآنِ الكريمِ أَثر كبير فِي الحِفاظِ على العربيّةِ ، وتعزيزِ مكامِنِ القُوةِ فِيها؛ فَقَدْ أَعطاها ذلكَ الرِّبَاطَ المُقدّس، ومِنْ ناحيةٍ أُخرى فإنَّ القرآنَ الكريمَ قَدْ لَفَتَ الأَنظارَ إلى إمكاناتِ اللُّغَةِ ، والطاقاتِ التَّعبيريةِ الّتي تَكْمُنُ فِي أُسلوبِ نَظْمِ الكلماتِ فِي الجُمَلِ والنُّصُوص ، وما ينتجُ عنها مِنْ مَعَانٍ تستطيعُ أَنْ تُعَبّرَ عَنْ كُلّ الأَغراضِ والمَفَاهيم بدقةٍ عاليةٍ ، فضلًا عن أنَّ هذا النَّصَّ قَدْ حافَظَ عَلى لَوْنٍ زاهٍ مِنْ أَلوانِ العربيّةِ ، وَفِي مَرْحَلةٍ مِنْ مراحِلِها العُمْريةِ تُعدّ الأَفضل والأَنقى ، وَلِهذا حَفِظَها فِي ذَرْوةِ التَّطورِ ، وفِي قمّةِ النُّهوضِ ، وَلَعَلَّ هَذا مَا يُفَسِّرُ بقاءَ العربيّة خالدةً إلى يومِنا هَذَا. (الفحّام، 2017، ص 146)

لقد اهتمَ العرب بهذهِ اللّغةِ – لغة القرآنِ – وتدارسوها؛ مِنْ أَجلِ الحِفاظِ عَلى هَذا التراثِ الضَّخْمِ ، وَرَسْمِ طريقِ الخُلودِ والاستمرارِ لَهُ .

وَمِنْ بينِ العُلماء الذين هبّوا إلى دراسةِ اللّغة العربيّة والغَوْصِ فِي أعماقِها والتعرّفِ على أسرارِها وسَبْرِ أغوارِها بوصفِها لغةَ التَّواصُلِ والحوار ، ولغة العلمِ والتفكيرِ، العالمُ الفذّ عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي في عرضهِ المسائِل النَّحويّة والبلاغيّة عَرْضًا عميقًا ؛ إذْ استطاعَ أنْ يجلو – بكلِ عزمٍ وثقة – الدورَ الوظيفيّ للنَّحْوِ العَربيّ مِنْ جهةٍ ، والرّسالةَ البيانيّة مِنْ جِهَةٍ أُخرى، كلُّ ذلكَ مِنْ أَجلِ خدمةِ القرآنِ الكريمِ ، وبيانِ أسرارِه ، والوقوفِ على وجهِ إعجازِه .(عاطف،2013 ص73)

ولا ريبَ أنَّ هذا المنهجَ الباصرَ يمثّلُ طريقةً خصيبةً في تناولِ المسائلِ البيانيّة (النَّحويّة والبلاغيّة) إذْ أَفضى ذلكَ إلى بلورةِ نظريةٍ متكاملةٍ في إعجاز القرآن العظيم عُرِفت بنظرية النَّظم، التي تقومُ عَلى تَوَخّي مَعاني النَّحْوِ واقتناصِ إرادةِ المُتكلّم وقصديتهِ في أجزاءِ العبارةِ .

هذا النَّظمُ المُعجِزُ فاقَ وعَلا سائِرَ النُّظُوم ، فالإطار المعرفيّ والبِنْيَةِ الخاصَّة للنَّظم القرآني اصطدمت بـ(أُفق التَّوقع) المَحْدُود للبيانيينَ العَرَبِ ما قبلَ الإسْلامِ (جهلان، 2008، ص31) ، إذْ أصبحَ مَدى انزياح النَّصّ عَن المَعاييرِ القارّةِ عِنْدَ القارئ وتفسيرهِ لأفقِ توقّعه مقياسًا لبيانِ القيمةِ الجماليّة للنَّص الأَدبيّ ، فكلّما كانَ كَسر أُفقِ التوقع قويًّا، كان النَّصُّ ذا قيمةٍ عالية وذا تأثيرٍ واضحٍ في المُتلقّي (هانس، 2004 ص12)

فَلا ينطلقُ النّظم بوصفهِ من تجليّاتِ نظريةِ التَّواصُل إلَّا فِي ضوءِ كلامٍ مبنيٍّ على توطيدِ الشَّبَكَة العلائقية بينَ العناصِر السّياقِيَّة، ومراعاة النّظام الفعليّ المُتَحَكم فِي ضَمانِ الصّحَة الدّلالية والقَوْليّة للسّلوكِ اللّغوي الاجتماعي، وهذهِ الإلماحةُ تنبّهتْ إليها الدكتورةُ رجاء الحسناويّ فِي مباحثِها الماتِعة في مدونةِ سِيبَوَيْه (اللُّغةٌ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفسٌ عربيةٌ) (الحسناوي،2017، ص14)

ومِنْ هُنا فإنّنا سننطلقُ مِن العنصر المُهمّ فِي هذهِ الشبكةِ التواصُلّية بحسبِ رُؤْيةِ الجُرْجَانِي وهُوَ المُتكلّم فِي نظريةِ التَّواصُلِ الجُرْجَانِية ، كاشفينَ آراء عبد القاهر في اللّغةِ والبلاغةِ ، إذْ عَمِدَ إلى بعضِ الفُحوصِ اللّسانيّةِ ممّا تبيّنَ في طرافةِ تفكيرهِ وحداثةِ آرائِهِ سواء فِي مفهومِ اللُّغةِ والكلامِ أَم فِي مَفْهُومِ العَلامَةِ اللُّغويةِ (المسدي، 1986، ص 29)

وأَهمّ ما رَصْدنَاه فِي البحث، الآتي:

2ـ المَطْلب الأوّلُ : مُنْتِجُ الخِطَابِ (المُتكلّم)

لا جَرَمَ أنَّ المُتكلّمَ هُوَ مِفتاحُ العَمليّة الخِطابيّة، وصاحِبُ الشرارة الأُولى في الجهاز التَّواصُليّ ومحورُ الدورانِ الحلزونيّ في جهازِ التَّواصُل الإبْلَاغِيّ على حدِّ تعبيرِ الدكتور عبد السَّلام المَسَدّي (المسدّي،1986 ص294)

ومِنْ هُنا فَقَد تنوّعت نُعوت المُتكلّم فِي المنظومةِ الجُرجانيةِ تنوّعا لَم نعهدهُ مِنْ قبلُ ، وهَذا التَّنوع فِي الوَصْفِ دليلٌ صارِمٌ على محوريتهِ وجوهريتهِ فِي الشبكةِ التَّواصُليّة ، فنلمحُ المُخْبِرَ ، والمُنْشِيءَ ، والمُصَرّفَ ، والمُناجِي ، والمُراجِعَ ، والقاصِدَ ، والفاعِل ، والواضِع ، ودونَكَ هذهِ القائِمة المُرّكَزة ذات العناصِر والبيانات فِي قولِ الجُرْجَانِي : « وإذْ قَدْ ثبَتَ أَنَّ الخَبَرَ وسائِرَ معانِي الكلامِ ، معانٍ يُنْشِئُها الإنسانُ في نفسهِ، ويُصرّفُها في فِكْره، ويُناجي بها قَلْبَه، ويراجِعُ فيها لُبَّه، فاعلمْ أَنَّ الفائدةَ في العلمِ بها واقعةٌ من المنشئ لها، وصادرةٌ عن القاصِدِ إليها ، وإذا قلنا في الفعل: إنَّه موضوعٌ للخَبَرِ لم يكنِ المعنى فيه أنَّه موضوعٌ لن يُعْلَم به الخبَرُ في نفسِه وجنسِه، ومن أَصْلِه، وما هو؟ ولكنَّ المعنى أنَّه موضوعٌ ، حتى إذا ضَمَمْتَه إلى اسمٍ عُقِل به ومن ذلك الاسم الخبر، بالمعنى الذي اشْتُقَّ ذلك الفِعْل منه من مسمّى ذلك الاسم، واقعًا منكَ أيّها المُتكلِّم » (الجرجاني، 2001، ص 355)

ولمّا كانَ عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي فقيهًا شافعيًا ومتكلّمًا أشعريًا فإنّه قد أَعطى للمتكلّم التخومَ الواسعات ، إذْ لكلّ حادثٍ مُحْدِثٌ، ولكلِ فعلٍ فاعِلٌ، هذا الفَهْمُ سحبهُ الجُرْجَانِي إلى منظومتهِ التفكيرية فِي مدوّنتهِ ، فكلّ مَا يَصْدُرُ مِن وظائفَ نحويّةٍ و بلاغيةٍ ، ودلالاتٍ توليديةٍ وسياقيةٍ تكون عبر المُتكلّم وهَذا مَا نلمَحَهُ فِي نصّهِ الإرهاصيّ أنّ المُتكلّم هو : « الواضِعُ للكلامِ والمؤلّف لَهُ » (الجرجاني، 2001، ص265، و ينظر الحسناوي، 2017، ص12-13)

فالحَدَثُ اللّغويّ ينطلقُ مِن المُتكلّم نفسِهِ ، ويتركبُ عَلى أنسجةِ اللُّغةِ وَفْقًا لمواضعات قَدْ استقرّتْ بينَ المتواضعينَ (المُتحاورينَ) ، فَلَا يكونُ الخِطابُ إثباتًا أو نفيًا ، ولا يكونُ خبرًا أَو استخبارًا ، كَمَا لا يكونُ أمرًا أو نهيًا وغيرها إلّا بفعلِ المُتكلّم وإرادتِهِ ، فليسَ مِنْ أَحدٍ مثبتٍ أَوْ نافٍ أو مُخْبِرٍ أَوْ مُسْتَخبرٍ أَو آمرٍ أو ناهٍ إلّا المُتكلّم الّذي هُوَ صانِعٌ للحدثِ اللّغويّ ومُوجِدُه ، وملتزمٌ به (المسدي، 1986، ص 293)

وقَدْ أَحسنَ الدكتورُ عبدُ السلامِ المُسَدّي حينما وصفَ متكلّمَ الجُرْجَانِيّ بـ(مَرْكَز الدائِرة) الّذي يستقطبُ كلَّ الأَشعةِ ، وتكونُ لَهُ طاقةٌ استقطابيةٌ جاذِبةٌ تمنعُ الكَلامَ أَنْ ينتشرَ فِي غيرِ المَسارِ الّذي يُحدّدُهُ لَهُ مركزُ البَثّ (المسدي، 1986، ص 294)

وقد بَصُرَ الجُرْجَانِيّ بأنّ نباهَةَ المُتكلّم وعُلوَّ منزلتِهِ فِي عِلْمٍ مِن العُلوم ليسَ لَها مزيةُ قبولِ الكلامِ واستحسانِهِ ، وإنْ وقعَ في الألسُن ، فتداولتْهُ ونَشَرتْهُ ، وفَشَا وَظَهَرَ وكَثُر الفاعِلون لَهُ ، والمشيدون بذكرِهِ ، والعكسُ صحيحٌ (الجرجاني، 2001، ص 294)

ولابُدَّ مِن الإشارةِ إلى أنَّ التنظير العلائقيّ بين أطرافِ الجهازِ التَّواصُليّ في الحَدَثِ اللّسانيّ هُوَ الأَساسُ فِي استجلاءِ قيمةِ مُنْتج الخِطابِ (المُتكلّم) ، وَهَذا مَا لمحهُ الجُرْجَانِي فِي سياقِ بلورتهِ لنظريةِ

النَّظْمِ ، إذْ نفذَ إلى صميمِ الإشكال المبدئي في عَلاقَةِ المُتكلِّم بكلامِهِ ، فيطرحُ القضيّة مِنْ وجهةِ نظرٍ تركيبيةٍ خالصةٍ مؤكِدًا أنَّ نسبةَ الكَلامِ إلى صاحبِهِ ليسَ لَهُ مِنْ إنتاج واختصاصٍ إلّا فيما يتّصلُ ببنيتهِ ونظمِهِ وسبكِهِ ، فإضافة الكَلامِ إلى منتجِهِ وقائلِهِ ليست إضافة لهُ مِنْ حيثُ هُوَ كلِمٌ وأوضاعٌ معجميةٌ ،ولكنْ مِنْ حيثُ تُوخّي منها النَّظْمُ والتركيبُ (الجرجاني،2001، ص234) ومِنْ لواحقِ البحث فِي المُتكلِّم ، وبيانِ أَثَرِهِ فِي العمليةِ الخطابيةِ ، الحديثُ عَنْ قصديتِهِ وإرادتِهِ ، فأَصلُ الكَلامِ لا يتمّ مِنْ دونِ قصدِ المُنشئ ، فالقَصْدُ – على حدّ تعبير بوجراند – : ‹‹ يتضمّنُ مَوقِف مُنشئ النَّصِ مِنْ كونِ صورةٍ مَا مِنْ صُورِ اللّغة قُصِدَ بِها أَنْ تكونَ نصًّا بالسَّبك والالتحامِ ، وأَنَّ مثل هذا النَّص وسيلة مِنْ وسائلَ متابعة خطة معينة للوصُولِ إلى غايةٍ بعينِها ›› (بوجراند، 2007،ص103، وينظر سعود،2019، ص 42)

وَهَذا التَّعريفُ للقصديةِ لَا يبتعدُ كثيرًا عمّا وَعَاهُ عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي في منظومتهِ النظميّة ، قَال :

فَمَا لِنَظْـمِ كَـلامٍ أَنــتَ ناظِمُـهُ * معنى سوَى حُكْمِ إعراب تزجيهِ**

اسمٌ يُرى وَهُوَ أَصلٌ للكلامِ، فَمَا * يتمُّ مِنْ دونِهِ قَصْـدٌ لِمُنـشيهِ**

(الجرجاني،2001، ص 11)

ويتجلىّ تعريفُ القَصْديّة هذا بوضوحٍ لدى عبد القاهِرِ الجُرْجَاني في مدونتهِ دلائِل الإعجازِ بقولهِ : إنَّ ‹‹ مَعْنى القَصدِ إلى معانِي الكَلِمِ أَنْ تُعلِمَ السامِعَ بِهَا شيئًا لَا يَعْلَمُه ›› (الجرجاني، 2001، ص305)

ونستشرفُ مبدأ القَصْدِ وإرادة المُتكلِّم فِي كثيرٍ مِن الأَقوالِ الواردةِ فِي المُصنّفاتِ القديمةِ فالنَّحويونَ فَطَنُوا إلى أَنَّ النَّحْوَ يقومُ عَلى المَعانِي والأَغراضِ الّتي يريد المُتكلِّمُ إبلاغها إلى السامِع فسِيبَوَيْه مثلًا لَمْ يغفلْ مقاصِد الكَلامِ ومراميهِ فِي توجيهِ كثيرٍ مِن الأَحكامِ النَّحْوِيَّة(ناصف، 1995، ص11)

وقد عبَّر البيانيونَ العربُ (النَّحويّون والبَلاغيونَ واللُّغويونَ والنُقاد) وغيرُهم عَن القَصْدِ بألفاظٍ كثيرةٍ مِنْهَا : الغَرَضُ ، الحَاجَةُ ، المُرَادُ ، الفَائِدَةُ ، بَلْ رُبّما كَانَ لفظُ البَلاغَةِ لديهم يرادُ بهِ أحيانًا المَقْصد ، وَرُبَّما كانَ المُرادُ مِنْ قولِنا : عِلْم البَلاغَةِ ، عِلْم المَقَاصِد (مقران، 2010، ص 18–19) ويبدو أنَّ مفهومَ القَصْدِ والإرادة يخرج القضايا النَّحويّةِ واللّغويّة بَل حتى الْفِقْهِيَّة والأُصوليّة والفلسفيّة من طبيعتِها الشكليّة المجرّدة إلى مَا يُنشئِهُ المُتكلِّمُ ويُبَيّنُهُ فِي مستوى التأثيرِ والإنجازِ الّذي يُعَدُّ محوريًا عِنْدَ إنشاءِ المَعَاني (ميلاد،2001، ص237)

وقد تفطّن عبد القاهِرِ الجُرْجَانِي للقيمةَ الوظيفيّة التَواصُليّة للفِعْلِ الكَلاميّ، وَهِي (القَصْديّة) وهذا ما يتجلّى لنا من خلال قوله : « لَا يكونُ ترتيبٌ فِي شيءٍ حتّى يكون هناكَ قَصْدٌ »(الجرجاني، 2001،

ص364) ، وَقَدْ اسْتَثْمَرَ المُعْجَم القرآنيّ في استشرافِ قَصْدِ المُتكلّم ، ففي قولِهِ تَعَالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر/ 9] ، قَالَ « المَعْنَى: هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَهُ عِلْمٌ ، وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ؟ مِنْ غيرِ أَنْ يَقْصد النَّصّ عَلى معلومٍ وكذلك قَوْله تَعَالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [سورة غافر: 68] ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [سورة القمر: 43 – 44]، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [سورة القمر: 48] المَعْنَى هُوَ الّذي مِنْهُ الإحياءُ والإماتةُ والإغناءُ والإقناءُ، وهكذا كلُّ مَوْضِعٍ كانَ القَصْدُ فيهِ أنْ يُثبتَ المَعْنَى فِي نفسِهِ فِعْلًا للشيءِ، وأَنْ يُخْبِرَ بأَنَّ مِنْ شَأنِهِ أَنْ يكونَ مِنْهُ، أَوْ لَا يكونُ إلّا مِنْهُ، أو لا يكون منه، فإنَّ الفِعْلَ لَا يُعدَّى هناك، لأَنَّ تعديتَه تنْقُضُ الغَرَضَ وتُغَيّر المَعْنَى » (الجرجلني، 2001، ص154–155)

ويَعْلُو صَوْتُ قَصْدِ المُتكلّم في التَّحليلِ النَّحويّ والتفسيريّ الجُرْجَانِي في مباحثِهِ للسياقاتِ الاستفهاميّة ، إذْ تَتَجلَّى قَصْديَة المُتكلّم فِي كلّ سياقٍ ، قَال : «ومِنْ أَبْيَن شيءٍ في ذلك الاستفهامُ بالهمزةِ ، فإنَّ موضِعَ الكَلامِ على أَنَّك إذا قلتَ: (أفَعلْتَ؟) ، فبدأتَ بالفِعْلِ، كانَ الشكُّ في الفِعل نَفْسِه، وكان غَرضُكَ مِن استفهامِك أنْ تُعْلم وُجودَه ، وإذا قلتَ: أأنتَ فعلتَ؟ ، فبدأْتَ بالاسمِ، كان الشكُّ في الفاعِل مَنْ هو؟ ، وكانَ التردُّدُ فيهِ » (الجرجاني،2001، ص111)

ولا يركنُ شيخُ البلاغيينَ فِي تفسيرِهِ للتَّقديم فِي النّظم الكلاميّ إلى تفسيرِ سِيبَوَيْه المرتبط بالاهتمام بالمتقدّم والعناية بهِ فحسب، حيث قَالَ : « واعْلَمْ أَنَّا لَمْ نَجدهُم اعْتَمَدُوا فيهِ شيئًا يَجْري مَجْرَى الأَصْلِ، غيرَ العنايةِ والاهتمامِ. قال صاحبُ الكتابِ وهو يَذكُر الفاعِلَ والمَفْعُولَ: كأَنَّهم يقدّمون الذي بَيانُهُ أَهمُّ لهم، وَهُم ببيانِهِ أَعْنى، وإنْ كانَا جميعًا يُهمَّانِهم ويَعْنيانِهم، وَلَمْ يَذْكر في ذلكَ مثالًا »(الجرجاني، 2001، ص107، وينظر سيبويه، د.ت، ص118–119) بل يدعو إلى إعمال العقل في استكناه علل للتقديم غير ما ذكر من قبل ، قال : « وقد وَقعَ في ظنونِ الناسِ أَنَّه يكفي أنْ يقالَ: إنّه قُدِّم للعنايةِ، ولأَنَّ ذكْرَه أَهمُّ، مِنْ غير أَنْ يُذْكَر مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟ ولِتخيُّلِهم ذلك، قد صَغُر أمرُ التقديمِ والتأَخيرِ في نفوسِهم، وهَوَّنوا الخَطْبَ فيهِ، حتّى إنك لتَرى أكثرَهم يَرى تَتبُّعَه والنظرَ فيه ضرباً من التكلُّف، ولم تر ظنّا أَزرى على صاحبهِ من هذا وشبهه» (الجرجاني،2001، ص78)

ويلحُّ الجُرْجَانِي في مَعْرِضِ استكشافِ قَصْديّة المُتكلّم وإرادتِهِ عَلى إلحاقِ الكَلامِ بجملةِ الصناعات التي يصدرُ فيها الإنسانُ عَنْ مهارةٍ وحِذْق بالمِران والتناولِ ، فضلًا على الاكتسابِ، ومِنْ هُنا فإنّه يلمَح إلى ضرورة توفّر سمات في المنتجِ (المُتكلّم) « تستدعي جودةَ القريحةِ والحِذقَ ودقّةَ الفكرِ ولُطْف النَّظَر ونفاذ الخاطرِ » (الجرجاني،د.ت، ص118–118)

وَقَدْ تنبّه عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي للمعنى العميقِ المَرْكُوزِ في نفسِ المُتكلِّم ، إذْ لا يتجسّدُ إلّا في ظلّ توظيفِ الكلماتِ بحسبِ الوظائِفِ النَّحويّة المُنَوطَة بِها أَسماء كانَت ، أو أفعالًا ، أَو حتّى حروفًا فَهي التي تنظم عِقْدَ الجُمْلَةِ في النَّصّ ، وبِها يوقَفُ عَلى المُرادِ مِن التركيبِ (محمد، 2013، ص29) ولم يكتفِ الجُرْجَانِي ببيانِ قيمةِ المُتكلِّم وإبرازِ دورِهِ فِي الرِّسالةِ البيانيّة ، بَلْ نراهُ يجوسُ خلال نفسِهِ ، فَهُوَ يرى أَنَّ الإعلامَ بغتةً غفلًا هو أَفْخَمُ وأَمْضَى فِي التَّواصُلِ مِن التنبيهِ والتقدمةِ لَهُ ، قَالَ : « وجملةُ الأَمر أنَّه ليسَ إعلامُك الشَّيءَ بغتةً غفلًا، مثلَ إعلامِك له بَعْدَ التنبيهِ عليهِ والتقدمةِ له ؛ لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إنَّ الشَّيءَ إذا أُضْمِر ثمَّ فُسِّر، كانَ ذلكَ أَفخمَ لَهُ مِنْ أَنْ يُذكَر من غير تقدمةِ إضْمار ، ويدلّ على صحّةِ ما قالوهُ أَنّا نَعْلَمُ ضرورةً في قولِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾[سورة الحج: 46] فخامةً وشرفاً وروعةً، لا نَجد منها شيئاً في قولنا: فإنَّ الأبصارَ لا تَعْمى، وكذلك السبيلُ أبداً في كلّ كلامٍ كان فيهِ ضميرُ قصةٍ، فقولُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 117]، يُفيد مِن القُوَةَ فِي نفيِ الفَلاحِ عنِ الكافرين، مَا لَوْ قِيل: إنَّ الكافرينَ لا يُفْلِحونَ، لَمْ يستفدْ ذلِكَ. ولَمْ يَكُنْ ذلك كذلكَ إلّا أَنَّك تُعلمهُ إيّاهُ مِنْ بعدِ تقدمةٍ وتنبيهٍ، أنتَ بهِ فِي حُكْمِ مَنْ بَدأَ وأَعادَ ووطَّدَ، ثُمَّ بَنَى ولوَّح ثُمَّ صرَّح ولَا يَخفى مكانُ المَزِيّةِ فِيمَا طريقُهُ هَذَا الطريقُ» (الجرجاني، 2001، ص92)

ويرى عبدُ القاهِرِ الجُرْجَانِي أنَّ مَزيّة التَّواصُل من لَدُن المُتكلِّم تتجلّى في الإثباتِ والإقرارِ والتوكيدِ ، ومِنْ هُنا فَإنَّ عبدَ القاهِرِ من القائلينَ بمستويات التواصليّة باسترفادِ قَصديّةِ المُتكلِّم، فكلّما كانَ المَعْنى أَرسَخ وأَبلغ وآكد وأشدَّ بانتْ مَزيّةُ الكَلامِ ، وَهَذا مَا أَشارَ إليهِ فِي الأَساليبِ البيانيّة كالكناياتِ والتشبيهاتِ والاستعاراتِ ، قَالَ : «اعْلَمْ أنَّ سبيلكَ أَولًا أَنْ تَعْلَم أنْ ليستِ المَزِيّةُ التي تُثْبتها لهذهِ الأَجناس عَلَى الكلامِ المتروكِ على ظاهِرِه، والمبالغةُ التي تدَّعى لها في أنفسِ المَعَاني الّتي يَقْصِدُ المُتكلِّم إليها بخَبَره، ولكنّها فِي طريقِ إثباتِهِ لَها وتقريرِه إيّاها، تفسيرُ هذا: أنْ ليسَ المَعْنى إذا قلنا: إنَّ الكنايَةَ أَبْلغُ منَ التَّصريحِ ، أَنَّك لمَّا كنَّيْتَ عَنْ المَعْنى زِدْتَ في ذاتِهِ ، بَلْ المَعْنى أَنَّك زِدْتَ في إثباتِهِ، فجَعلْتَه أبلغَ وآكَدَ وأَشَدَّ، فليستِ المَزِيّةُ في قولِهم: (جَمٌّ الرَّمَاد) أَنَّهُ دلَّ على قِرى أكثرَ، بَلْ المَعْنَى إنَّك أَثْبَتّ لَهُ القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ » (الجرجاني، 2001، ص54)

وَمُسْتَخْلَصُ القَوْلِ : إنَّ العنايّةَ بالمُتكلِّمِ وقصديتِهِ وإرادتِهِ فِي المُدونةِ الجُرْجَانِية يُعَدُّ إسهامًا متميّزا في الدَّرسِ اللّسانِي المُعَاصِر ، وَهُوَ مَا بشَّرتْ بهِ التداوُليّة بوصفِها منهجًا لسانيًا حديثًا.

3ـ المطلب الثاني : السّامع (المتلقي) :

إنّ صيرورة النَّظم الجُرْجَانِي معقودةٌ مِنْ أَجل المتلقي، فمزيةُ اللَّفظةِ وهي مفردةٌ تتبايُن عَنْ مزيتِها بوصفِها فِي النَّظمِ ودَرْج الكلامِ وسياقِهِ ، وهذه المزيّة تتجلّى في القيمةِ التواصُليةِ الّتي تحدثها الكَلمةُ وَهِي فِي النَّظْم، وَهُوَ مَلْمَحُ دَلاليٌّ مُعْجِبٌ والتفاتةٌ بصيرة بالتداوُليةِ القائمة على ملاطفةِ السامعينَ، ومِنْ هُنا فإنّ الإفصاحَ والتكشيف ديدنُ البيانيينَ قالَ الجُرْجَانِي مستئنِسًا بقولِ الجاحِظ (ت255هـ) : « والسنّةُ في خِطْبةِ النِّكاحِ أنْ يُطيلَ الخاطِبُ ويُقصِّرَ المجيبُ (...) قالوا: فخطَبَ يوماً إلى اللَّيلِ، فَمَا أَعادَ فيها كلمةً ولا مَعْنَى ، فقِيلَ لأبي يعقوب هلاّ اكْتَفى بالأمرِ بالتَّواصُلِ عنِ النَّهْي عن التقاطُعِ؟ أَو ليس الأمرُ بالصلةِ هو النَّهْيُ عن القطيعةِ؟ قَال: أَو مَا علمْتَ أنَّ الكنايةَ والتعريضَ لا يَعْملان في العقولِ عَمَلَ الإفصاح والتّكشف» (الجرجاني، 2001، ص169، وينظر الجاحظ، 1968، 1/76-77)

ومِنْ هُنا يَصدَحُ الجُرْجَانِي بحقيقةٍ أنَّ المزيّة ليست فِي المَعَانِي نفسِها بَلْ فِي إثباتِها وتأكيدِها وإقرارها والحكمِ بها ، قال « وإنّما يَعْنون إثباتَ معاني هذه الكَلِمِ لِمَنْ تَثْبتُ لَهُ ويُخَبَّرُ بِها عَنْهُ» (الجرجاني، 2001، ص71)

هذا الإخبارُ والإثباتُ للسامِعِ ، نجدُ صَداهُ عِنْدَ الجُرْجَانِي عِنْدَ حديثِهِ عَن المواضَعَةِ والوَضْعِ الّتي تَسْتَنِدُ إِلَى مَعْلُومٍ تكونُ نسبتُهُ إليها نسبة المَرْجِع إلى الدّالِ والمَدْلُولِ فِي (المُثلثِ الدّلاليّ) ، قَالَ : «والمواضَعةُ لا تكونُ ولا تُتصوَّرُ إلاَّ على مَعْلوم، فَمُحَالٌ أَنْ يُوضَعَ اسْمٌ أَوْ غيرُ اسمٍ لغيرِ معلوم ؛ لأنَّ المواضَعةَ كالإشارة، فكما أنَّكَ إذا قلتَ: خذْ ذاكَ، لم تكُنْ هذه الإشارةُ لتعرّف السَّامِع المشارَ إليهِ فِي نفسِهِ، ولكنْ ليعلمَ أنَّه المقصودُ مِنْ بينِ سائِرِ الأَشياءِ الّتي نَرَاهَا ونبصرها ، كذلكَ حكْمُ (اللفظِ) مَعَ مَا وُضِعَ لَهُ» (الجرجاني، 2001، ص353)

والملاحظةُ الرئيسةُ الّتي ينطلقُ منها الجُرْجَانِي هي الأَثر البليغ للمُتكلّم والمخاطَب فِي عمليةِ التركيبِ والتفكيكِ ، فالخِطابُ اللُّغويّ لا تُدرَكُ غايتُهُ فِي الإبلاغِ وَرَبْط التَّواصُل بينَ الباث والمُتلقي إلّا إذَا ترتبّت المَعَاني والدّلالات فِي نفسِ السَّامِع طِبقًا لنفسِ ترتبها فِي ذهنِ المُتكلّم قبلَ أَنْ يبثَّ خطابَهُ ، فالمُعْتبرُ هُو حالُ المَعاني مع المُتكلّم كيف تناسَقَتْ واستقامتْ بنيتها فِي الذِّهْنِ قبلَ أَنْ يُلبسها ثوبها من الصِّيَاغَةِ والأَلفاظِ، فمادةُ الخِطاب لا يحدّدها إلاّ النِّظام الذي اختارَهُ الباثُّ فِي قذفِ رسالتِهِ الدّلاليّة (الجرجاني، 2001، ص265، وينظر المسدّي، 1986، ص293)

إنَّ العنايةَ الصّارمَةَ بالسامِعِ فِي الأَدَبِ الجُرْجَانِي قادتهُ إلى أنْ يقرّرَ أَنَّ « من حِذْقِ الشاعِرِ أنْ يوقِعَ المَعْنَى فِي نفسِ السامِعِ إيقاعًا يمنعهُ بِهِ مِنْ أنْ يتوهَمَ فِي بدءِ الأَمر شيئًا غير المُراد ، ثمَّ ينصرفُ إلى

المُرادِ (...) ويَجعلَهُ بحيثُ يقعُ المَعْنَى مِنْهُ فِي أُنُفِ الفَهْمِ ويتصّور في نَفسه من أَوّلِ الأَمرِ » (الجرجاني، 2001، ص116)

ويستشرفُ الجُرْجَانِي النُّصُوص القرآنية مِنْ أَجل بيانِ أَثرِ الخِطابِ فِي نفسِ السَّامِعِ ، تأَمّل كلامَهُ على الاستئنافِ وترك الوصلِ في قولِهِ تَعَالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة : 14-15] ، قَالَ : « وههُنا أَمْرٌ سِوَى مَا مضَى يوجِبُ الاستئنافَ وتركَ العَطْفِ، وهو أنَّ الحكايةَ عنهُمْ بأنَّهُم قالُوا : كَيْتَ وكَيْت تحرّكُ السَّامِعينَ؛ لأنْ يعلموا مصيرَ أَمرهم ، وَمَا يُصنَعُ بهم، وأنزل بِهِمُ النِّقْمة عاجِلاً أَمْ لا تنزل ويُمْهلَون وتُوقع في أنفسهم التَّمنِّي؛ لأَنْ يتبيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ، وإِذَا كانَ كذلِكَ، كانَ هَذا الكَلامُ الذي هُوَ قولُهُ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، فيم عنى ما صدر جوابًا عن هذا المقدّر مبتدأ غيرَ معطوف، ليكونَ في صورتِهِ إذا قِيل: فإِنْ سَأَلتُم قِيلَ لَكُم : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» (الجرجاني، 2001، ص156)

إنّ الأداءَ اللّغويّ اللّسانيّ التَّواصُليّ لا يتمُّ لَهُ تحقّقٌ فِعْليّ إلّا بمكونيهِ الأَساسيينِ –المُتكلم والمُتلقي– ، وإنْ اختلفتْ الوظيفةُ ، إذْ للأَوّل وظيفتُهُ الإنتاجية ، وللثّانِي وظيفتُهُ الاستهلاكية ، وحَلَقَة الوصلِ بينهُمَا المادَةُ اللّغويّة الخاضِعَةُ للإنتاجِ والاستهلاكِ ، وقَدْ أَخَذَ الدَّرسُ اللّسانِيّ على عاتقهِ الاهْتِمَام بهذينِ الطرفينِ .

ويرى عبد السَّلام المَسَدّي فِي ظلِّ رصدهِ لاستقراءاتِ الجُرْجَانِي أنَّ التَّحوّل الدلاليّ إنّما هُوَ تقدير نسبيّ يسلّطهُ المُتكلّم على اللّغةِ وعلى سامعِهِ فيدرك السّامِعُ أَنّه فِعْلٌ تسلّط مِنْ المُتكلّم على جهازِ اللُّغةِ، ونَلمَحُ في النُّصُوص الجُرْجَانِية الحِرصَ على إعلامِ السامِعِ ، وايقاعِ المَعْنى في نفسهِ ، فقصدُ المُتكلّم هُوَ إعلامُ المُتلقِي ، وتثبيت المَعْنَى فِي قلبِهِ ، وَهُوَ مَلْمَحٌ تداوُليٌّ نجدُ صداهُ فِي الدَّرس اللّسانِيّ المُعَاصِرِ (المسدّي،1986، ص 174) ، قالَ الجُرْجَانِي فِي موضِع إظهارِ المَفْعُولِ : « وَقَدْ يتّفقُ فِي بعضِهِ أَنْ يكونَ إظهار المَفْعُولِ هُوَ الأَحسن، وذلك نَحْوَ قَوْل الشَّاعِر :

وَلَوْ شِئْـتُ أَنْ أَبْكِـي دَمًا لَبَكيْتُهُ * عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ**

(الخزيمي،1971،ص 43)

فقياسُ هذا لَوْ كانَ على حدِّ ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ (سورةُ الأَنعام :35) أنْ يقول: (لو شئتُ بكيتُ دمًا) ولكنَّه كأَنَّهُ تركَ تلك الطريقةَ وعدَلَ إلى هذهِ ؛ لأنَّها أَحْسَنُ في هذا الكلام خصوصًا ، وسببُ حسْنِه أَنَّه كأنّهُ بِدْعٌ عجيبٌ أَنْ يشاءَ الإنسانُ أَنْ يَبْكي دمًا ؛ فلّمَا كانَ كذلكَ كانَ

الأَوْلى أنْ يُصرِّحَ بذِكْرِهِ ليقرِّرَهُ في نفسِ السامع ويُؤنِسَه بهِ »(الجرجاني، 2001، ص164) ومِنْ هُنا فإنّنا نَرصُدُ عبارات مِنْ نَحْوَ: « كانَ المَعْنَى على أنّك قصدتَ أنْ تُعلِم السامِع » (الجرجاني، 2001، ص154-155)، و « وتوجب لَهَا شرفًا وأنْ تفخمها في نفوسِ السَّامعينَ ، وترفعُ أقدارَهَا عندَ المُخَاطَبينَ» (الجرجاني، 2001، ص71)، وَ « لِمَن تثبت لَهُ ، ويخبر بِها عَنْهُ » (الجرجاني، 2001، ص71) و « فاعْلَمْ أنّهُ يصفونَهُ كلامًا قَدْ أَعطاكَ المُتكلِّم أغراضَهُ » (الجرجاني، 2001، ص173-174)

ولابُدَّ مِن الإشارةِ إلى أنّ الجُرْجَانِي قَدْ لاطَفَ ذوقَ السامِع وغازَلَهُ عندمَا جعلَهُ عارِفًا بالمَعْنَى الأَوَّل والمَعَانِي الثَّوانِي (مَعْنى المَعْنى) كأَنَّهُ فِي ضميرِهِ ، قَال: «إذا قَالَ:(رأَيتُ أسدا)، ودلَّكَ الحَالُ على أنّه لم يُرِد السَّبُعَ، عَلِمْتَ أنَّهُ أرادَ التشبيهَ، إلّا أنَّه بالَغَ فَجَعَلَ الّذي رَآهُ بحيث لا يتميّز عن الأَسدِ فِي شجاعته ، وكذلك تعلم من قوله: (بَلَغَني أَنَّك تُقَدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أُخرى)، أنَّه أَرادَ التردُّدَ فِي أَمرِ البَيْعةِ واختلافِ العَزْمِ فِي الفِعْلِ وتَرْكِه(...) وإذْ قَدْ عرفتَ هذه الجُمْلَة، فَهاهُنا عبارةٌ مختصرةٌ وهي أَنْ تقولَ: (المَعْنَى)، و (مَعْنَى المَعْنَى)، تعني بالمَعْنَى المفهومَ من ظاهرِ اللَّفظِ والذي تَصِلُ إليهِ بغيرِ واسطةٍ و(بِمَعْنَى المَعْنَى)، أنْ تَعْقِلَ مِن اللّفظِ معنى، ثُمَّ يُفضي بِكَ ذلكَ المَعْنَى إلى مَعْنَى آخرَ، كالذي فسَّرْتُ لَكَ » (الجرجاني، 2001، ص173)

ويجدرُ بِنَا أنْ نُشيرَ إلى أنّ الجُرْجَانِي قَدْ جَعَلَ المُتَلقِي صَوْبَ عينيهِ فِي دائرةٍ تواصليّةٍ واحدةٍ، ويتجلّى ذلكَ فِي ضوءِ الأَلفاظِ والإشاراتِ والشفراتِ الّتي وردت فِي نصوصِهِ مِنْ نَحْوِ : الأَفْعَال الأَمريّة وكثرة استعمال الجُمَلِ الشَّرطيةِ والحُروفِ المُؤكدة فضلًا عن التحشيدِ للجملِ الفعليّة ولاسيّما المبنية للمَجْهولِ وهذه أَماراتٌ على اهتمامِهِ بالمتلقيّ بوصفهِ عنصرًا فَعّالاً في الشَّبكةِ التواصُليةِ .

4ـ المطلبُ الثالثُ : النَظْمُ (الرِّسالةُ اللّسانيّةُ)

سَنَعْمَدُ إلى بعضِ القِراءاتِ الّتي تُبيّنُ طَرافَةِ تفكيرِ الجُرْجَانِي ، وَحَداثَةِ آرائِهِ فِي النَّظْمِ .

أولًا : التّخطيطُ لـ(النَظْمِ) الكَلاميّ

بَدَا لَنا أنَّ عبدَ القاهِرِ الجُرْجَانِي كانَ يريدُ أَنْ يُؤَسِّسَ فِي كتابِهِ (دَلائِل الإعْجَاز فِي عِلْمِ المَعَانِي) نظرية فِي التأْليفِ الكلاميّ ، تُعَدُّ بلورةً لِمَنْ سَبَقَهُ مِن الأَئمةِ الّذينَ كَتَبُوا فِي البيانِ العربيّ ، بمختلفِ اختصاصاتِهم وعلى رأسهم سيبويه صاحب التفكير الحاذِق ، الّذي يرى أَنَّ اللُّغةَ يبرزُ وجودُهَا فِي ظِلّ الاسْتِعمَالِ ، أَي التَّداوُل الفِعْليّ، وقد انتفعَ مِنْهُ عبدُ القاهِرِ أَيَّمَا انتفاعٍ ، فأسّسَ لمُصْطَلَحِ النَّظْمِ مُعَرِّفًا

إيّاهُ، محدّدًا معالمَهُ، قَال : « اعْلَم أنْ ليسَ النظْمُ إلّا أنْ تضعَ كلامَكَ الوَضْع الّذي يَقتضيهِ (عِلْمُ النَّحْوِ)، وتعمل على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَهُ الّتي نُهِجتْ فَلَا تزيغ عَنْهَا، وتحفَظ الرُّسُومَ الّتي رُسِمَتْ لَكَ، فلا تُخِلَّ بِشيءٍ مِنْهَا» (المسدّي،1986، ص319)

وَيَرَى الجُرْجَانِي أنَّ إنكارَ هذا المَذْهَب خَطَأٌ عظيمٌ ، و يُفضِي بصاحبِهِ إلى إنْكَارِ الإعْجازِ القُرآني ، وَيُبْطِلُ التَّحدي مِنْ حيثُ لا يشعُرُ؛ فهَذَا الإنكار هُوَ إخراجُ جميعِ مَا قِيلَ فِي الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ ومِنْ ثَمَّ نَظْم الْقُرْآنِ وَتَأْلِيفهُ ، وسَلْب المزيَّةِ والفَضْل لَهُ (الجرجاني، 2001، ص165)

لقد عَاتَبَ الجُرْجَانِي الّذينَ زَهَدُوا فِي النَّحْوِ واحْتَقرُوهُ ، وأَصْغَرُوا أَمْرَهُ؛ لِأَنَّهم بِصنيعهم هَذا ابتعدُوا عن كتابِ اللهِ (عزّ وجلّ)، و لَمْ يظفروا بدلالاتِ ألفاظِهِ ، قَالَ: « وأمَّا زهدُهم في النَّحْوِ واحتقارُهُم لَهُ، وإصغارُهم أمرَهُ، وتهاونُهُمْ بِهِ، فصنيعُهم فِي ذلكَ أَشْنَعُ مِنْ صَنيعِهِمْ فِي الذي تَقدَّم، وأَشْبَهُ بأنْ يكونَ صَدًّا عن كتابِ اللهِ ، وَعَنْ معرفَةِ مَعانِيهِ (...) فليتَ شِعري ما عُذْرُ مَن تَهاونَ بهِ وزَهِدَ فيهِ، وَلَمْ يَرَ أنْ يستقيهِ مِنْ مَصبّهِ، ويأْخُذه مِنْ مَعَدنِهِ » (الجرجاني، 2001، ص30)

لا جَرَمَ أنَّ لمَوْقِع الكلماتِ فِي الجُمَلِ والسياقَات المَقَاميةِ أَهميّةٌ جليلةٌ عِنْدَ الجُرْجَانِي ، فهو يكشف وَيُحَدِّدُ الوظيفَةَ التداوُليةَ المُنَاطَة بالكَلِمَةِ تَقْدِيمًا وتأَخِيرًا .

حريّ بنا تتبّع توصيف الجُرْجَانِي ، فالمُتكلّم صائغٌ ، وناسِجٌ ، ومؤلِفٌ وغيرها من النُّعُوتِ والأَوصافِ التي أُطْلِقَتْ عَلى نَظْمِ الكَلامِ مِنْ نَحْوِ : النَّسْج ، الصَّوْغ ، التَّعْلِيق ، البِنَاء ، السَبيكَة ، الهَيْكَل ، وغيرها ، قَالَ الجُرْجَانِي : «واعْلمْ أَنَّ مَثل واضِعِ الكَلامِ مَثل مَنْ يأخذُ قِطَعًا من الذَّهَبِ أَوْ الفِضَّةِ فيُذِيبُ بَعْضَها فِي بَعْضِها فِي بعضٍ حَتَّى تَصيرَ قطعةً واحدةً » (الجرجاني، 2001، ص262)

أَمَّا التَّعليقُ ، فَهُوَ مِن المُصْطَلحاتِ الجُرجَانيةِ الخَالِصَةِ إذْ لَمْ يُسْبَقْ إليهِ ، وَيُقْصَدُ بِهِ ارْتِبَاطُ الكَلَامِ وَتآلُفُهُ وَنَظْمُهُ فِي العِبارَةِ مِن الوجْهَةِ الدَّقيقةِ فالكَلَامُ لَا تتأَتى مِنْهُ الإفادةُ والتَّعبيرُ عمّا في النَّفسِ إلاّ إذَا عُلِّق بعضُهُ ببعضٍ ، وَجُعِلَ بَعْضُهُ مرتبطًا ببعضٍ وَهَذَا هُوَ مَفْهُومُ التَّعْليقِ الّذي بِهِ تُوخّى مَعانِي النَّحْو، وإعمالها فِي أَجزاءِ الجُمْلَةِ (الجرجاني، 2001، ص234)

وَقَالَ : « وَلَيْسَ هُوَ النَّظْمُ الّذي مَعْنَاهُ ضمُّ الشَّيء إلى الشَّيء كيفَ جاءَ واتّفقَ ولذلكَ كانَ عندهم نظيرًا للنَّسج والتّأليفِ والصّياغَةِ والبناءِ والوَشْيِ والتَّحبيرِ وَمَا أَشبَه ذَلِكَ، مِمّا يُوجِبُ اعتبارَ الأَجزاءِ بَعْضِها معَ بعضٍ، حتّى يكونَ لوضعِ كلِّ حيثُ وُضِع، علةٌ تَقْتَضي كونهُ هُناكَ» (الجرجاني، 2001، ص42)

وَيَرَى أنّ حالَ المَنْظُومِ بَعْضَهُ مَعَ بَعْضٍ، وَأنَّه نَظير الصِّياغةِ والتَّحْبِير والتَّفْويفِ والنَّقشِ، وكلّ ما يُقصَد به التَّصويرُ (الجرجاني، 2001، ص95)

وزبدة القَوْلِ فِي هَذا المَطْلَبِ إنَّ الجُرْجَانِي التفت إلى القيمة التواصُليّة والوظيفيّة المُتحصّلة مِن النَّظْمِ ، فالعلاقاتُ والرَّوابطُ بين المُكوّناتِ أَي : الأَبنيةُ الداخليةُ تُظْهِرُ الوَظائِفَ النَّحويَّةَ كالفاعليةِ ، والمفعولية ، والحالية ، والخبريّة وغيرها ، وَلَا يَخْفَى علينا أَنَّ استكناه هذهِ القيّم التَّواصُلية والوَظائف النَّحويّة هُوَ جانبٌ عظيمٌ فِي نظريةِ السياقِ الحديثةِ فِي المَشْهَدِ اللّسانيّ المُعَاصِرِ .

ثانيًا : توليدُ الدّلالات وإظهارِ القيمِ التّواصُلية:

لقد حدَّدَ الجُرْجَانِي خصوصية كلّ تركيبٍ ينتجُهُ المُتكلّم، فِي ضوءِ موازنتهِ بينَ كلامٍ وآخر ، قَال : « يكون المَفْهومُ مِنْ هذهِ هُوَ المَفْهومُ مِنْ تلكَ، لا يُخالِفُه في صِفَةٍ ولا وَجْهٍ ولا أمرٍ من الأُمور. ولا يَغُرَّنَّكَ قول الناسِ: قَدْ أَتى بالمَعْنى بعينِهِ، وأخَذَ مَعْنى كلامِهِ فأَدَّاهُ عَلى وجهِهِ ، فإنَّهُ تَسَامحٌ مِنْهُم، والمُرادُ أَنَّه أدَّى الغرَضَ، فأمَّا أَنْ يؤدِّيَ المَعْنَى بعينهِ على الوجْهِ الذي يكونُ عليهِ فِي كلامِ الأوَّلِ، حتّى لا تَعْقِلَ ههُنا إلاّ مَا عَقِلْتَه هناكَ، وحَتَّى يكونَ حالُهُمَا فِي نفْسِك حالَ الصورَتَيْنِ المشتبهتَيْنِ في عينكَ كالسوارَيْنِ والشَّنْفَيْن، ففي غايةِ الإحالةِ، وظنٌّ يُفضي بصاحبهِ إلى جهالةٍ عظيمةٍ، وهي أنْ تكونَ الألفاظُ مختلفةَ المعاني إذا فُرِّقتْ، ومتَّفِقَتهَا إذا جُمِعَتْ وأُلِّفَ منها كلامٌ. وذلك أنْ ليسَ كلامُنا فيما يُفْهَمُ من لفظتينِ مفردَتْين نَحْوَ (قَعَدَ) وَ(جَلَسَ) ، ولكنْ فيما فُهم من مجموعِ كلامٍ ومجموعِ كلامٍ آخرَ، نَحْوَ أنْ تنظر في قولِهِ تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [سورة البقرة: 179]، وقولِ النَّاسِ: قتلُ البعضِ إحياءٌ للجميع ، فإنَّه وإنْ كان قد جرَتْ عادةُ النّاسِ بأنْ يقولوا في مثل هذا: إنَّهما عباراتان معبّرُهما واحدٌ ، فليسَ هَذا القَوْلُ قولاً يمكنُ الأَخْذُ بظاهرِهِ، أوْ يَقَعُ لعاقِلٍ شكٌّ أنْ لَيسَ المفهومُ مِن أحدِ الكلامَيْن المفهومَ من الآخر» (الجرجاني، 2001، ص172)

وَلَا يَخْفَى علينا أنَّ الجُرْجَانِي فِي ضَوءِ اسْتظهارِ التباينِ بينَ النَّظمين ينبّه إلى ضرورة البحث في الدّلالاتِ المُترشحةِ مِنْ كُلّ نَظْمٍ حَسبِ الاسْتعمالاتِ التَّداوُلية ومقتضياتِ الحَالِ فِي المَجالاتِ المُختلفةِ، وقَدْ اهتدى إلى أنّ النَّحْوَ العربيّ يجمع بينَ الشَّكلِ وَالمَعْنَى، فَلَمْ تَكُنْ دراستهُ قائِمةٌ عَلى بيانِ أَثرِ الحركاتِ الإعرابيةِ فِي الجُمْلَةِ مِنْ أَجلِ رَصْدِ الوظيفةِ الفاعليةِ أَو المَفْعولية ، أَو الحاليةِ أَو غيرِها، بَلْ تعدّدت إلى تكشيفِ أَغراضِ المُتكلّمينَ في تأليفِ الجُمَلِ ، وَمَا يجبُ أنْ تكونَ عليهِ الكلماتُ فِي الجُمْلَةِ .

كما تنبّه الجُرْجَانِي إلى قدرةُ اللّغةِ عَلى توليدِ القوالب النَّحوية وفق ما تقتضيه الدلالة والأَغراض التي تقصد ، قَالَ: « ثُمَّ اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ

تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها مَعَ بَعضٍ » (الجرجاني، 2001، ص64)

ومِنْ هُنا فإنّ الجُرْجَانِي ابتكرَ المَعانِي الأُولى والمَعانِي الثَّواني، والمَعْنَى، وَمعْنَى المَعْنَى، مستثمرا الاسْتعمال التَّداوُليّ فِي رَصْدِ هذهِ المَعانِي المتنوعةِ باستشرافِ الكنايةِ والمَجازِ والتّشبيهِ وغيرِها، قَالَ مُعرّفًا بالكِنَايَةِ : « والمرادُ بالكِنَايَةِ ههنا أَنْ يُريدَ المُتكلّمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ لَهُ فِي اللُّغةِ، ولكنْ يَجيءُ إلى مَعْنى هُو تاليهِ ورِدْفُه في الوجودِ فيُومِئ بهِ إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليهِ، مثالُ ذلكَ قَولهم: (هو طَويلُ النَّجاد) يريدونَ طويلَ القامَةِ (وكثيرُ رَمادِ القِدْر) يَعْنون كثيرَ القِرى ، وفي المرأَة: (نَؤومُ الضُّحى) والمُرادُ أَنَّها مُتْرفةٌ مخَدْومةٌ لَهَا مَنْ يَكفيها أمْرَها ، فَقَدْ أَرادُوا فِي هَذا كُلّه، كَما تَرى معنًى، ثمَّ لَمْ يَذْكُروهُ بلفظِهِ الخاصّ بهِ، ولكنَّهُم تَوصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجودِ، وأنْ يكونَ إذا كانَ. أَفلا تَرى أنَّ القامَةَ إذا طالتْ طالَ النَّجادُ؟ وإذا كثُرَ القِرى كثُرَ رَمادُ القدْر؟ وإذا كانتِ المرأةُ مُتْرفةً لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها، ردِف ذلك أَنْ تنامَ إلى الضُّحى » (الجرجاني، 2001، ص51)

ونرصدُ الدِّلالة الثّانية عِنْدَ الجُرْجَانِي من خلال حديثه عن ضُروب الكَلامِ، قالَ : « الكلامُ على ضَرْبينِ : ضَرْبٌ أَنْتَ تَصِلُ منهُ إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحده، وذلكَ إذا قصَدْتَ أَنْ تُخْبِر عَنْ (زيدٍ) مثلاً بالخروجِ على الحقيقةِ، فقلتَ: (خرجَ زيدٌ) ، وبالانطلاقِ عن (عَمْرو) فقلتَ:(عَمْروٌ منطلِقٌ) ، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ مِنْهُ إلى الغَرَضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناهُ الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللُّغة، ثُمَّ تَجد لذلكَ المَعْنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بِها إلى الغَرَضِ. ومَدارُ هذا الأَمرِ على الكِنَايَةِ، الاسْتِعَارَةِ والتَّمْثِيل، وقَد مَضَتِ الأَمثلةُ فيها مشروحةً مُستقصاةً وإذا عرفتَ هذهِ الجُمَلُ فيها هُنا عِبارة مختصرة وهي أنْ تقول : المَعْنى ومَعْنى المَعْنى » (الجرجاني، 2001، ص173)

ثالثا : التحليل النّحويّ التفسيريّ (النّظْم)

لمّا كانتْ وظيفةُ الجُرْجَانِي بيانَ النَّظمِ القرآنيّ بوصفِهِ بيانًا ساميًّا على سائرِ النُّظومِ، ماثلتْ وظيفتُهُ وظيفةَ المُفسّر في ضوءِ تبنّيه منهجًا تحليليًا تفسيريًا مِنْ أَجل كشفِ الدِّلالاتِ المتنوعة.

لا جَرَمَ أنَّ نظريةَ النَّظمِ ذاتُ حمُولةٍ من التحليلاتِ والرُّؤى، وهي بحاجةٍ إلى قراءاتٍ نصيّةٍ مِنْ لَدُن الباحثينَ، قَالَ : « واعلمْ أنَّه مَا مِنْ عِلْمٍ مِنْ عُلومِ البلاغَةِ أَنتَ تقولُ فيهِ: إنّه خَفيٌّ غامِضٌ، ودقيقٌ صَعْبٌ إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأَخفى وأَدقُّ وأصعبُ. وقد قَنعَ الناسُ فيهِ بأَنْ يقولوا إذا رأَوا جملةً قد تُرِكَ فيها العَطْفُ: إنَّ الكلامَ قد اسْتُؤنِفَ وقُطِعَ عمَّا قبلهُ، لَا تطلبُ أنفسُهم مِنْهُ زيادةً على ذلكَ ، ولَقَدْ غَفِلوا غَفْلة شديدة » (الجرجاني، 2001، ص154) ، زِدْ عَلى ذلكَ نجدُه ينبّهُ المتلقّين بلزومِ فَحْصِ النُّصُوصِ،

وغَرْبَلَتها وعَدَمِ الاغترارِ بأَنَّها تُؤدِي دلالات متماثلةٍ ، فَلَا بُدَّ مِنْ رَصْدِ الفُروقِ النَّحويّة والدِّلالية للجُمْلةِ ، قالَ : « ولَا ينبغي أَنْ يَغُرَّكَ أنَّا إذا تكلَّمْنا فِي مسائِلِ المُبتدأ والخَبَرِ قدَّرْنا الفِعْلَ فِي هَذا النَّحْوِ تقدير الاسْمِ ، كَمَا تقول فِي: (زيدٌ يقومُ) إنَّهُ فِي مَوْضِعِ (زيدٌ قائمٌ) ، فإنَّ ذلكَ لا يَقْتضي أَنْ يستويَ المَعْنَى فيهِمَا استواءً لا يكونُ مِنْ بَعْدِهِ افتراقٌ، فإنَّهما لوِ اسْتويا هَذا الاستواءَ، لَمْ يكنْ أَحدُهما فِعْلاً والآخرُ اسماً، بَلْ كَانَ يَنْبغي أنْ يكُونَا جميعًا فِعْلين، أَوْ يكُونَا اسْمَين » (الجرجاني، 2001، ص120)

ويتعمّق التَّحليلُ الدِّلَاليّ والتَّفْسيريّ عِنْدَ الجُرْجَانِي مُوضِحًا القيمةَ التَّواصُليّةَ الّتي تؤديها التراكيبُ القرآنيةُ، فَفِي تحليلِهِ لِقولِهِ تَعالى:﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة هود/44] ، يستحضرُ دلالةَ العَظَمَةِ والفَخَامَةِ مِنْ خلال نداءِ غيرِ العاقلِ (الأَرْضُ) و (السَّمَاءُ)، وهذا النِّداءُ فيهِ سرّ إعجازيٌّ مِنْ جهةِ إشراكِ العاقِلِ مَعَ غيرِ العَاقِلِ والتوسّع فِي الكَلامِ، فَضْلًا عَن ذلكَ يستحضِرُ نداءهما بـ(يَا) دون (أيّ) نَحْوَ: يَا أيَّتُها الأرضُ ، بِمَعْنى أنَّ المُنادَى مباشِرٌ وهُوَ الأَرْضُ والسَّمَاءُ، وكذلكَ يَرْصُدُ إضافَةَ المَاءِ إلى الكافِ بدل أنْ يُقَال: ابْلَعِي الماءَ ، وكذلكَ يَفْطُنُ إلى تَوالِي الأَفعالِ المبنيّةُ للمَجْهولِ (قِيلَ ، غِيْضَ ، قُضِي) إذْ سُكِتَ عَنِ الفاعِلِ لعظمتِهِ واشتهارِهِ فهذِهِ الخَصَائِصُ« الّتي تملؤكَ بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُكَ عندَ تصورِها هيبةً تُحيطُ بالنفسِ من أقطارِها » (الجرجاني، 2001، ص40، وينظر ابن الأثير، د.ت، 243/1)

ويشتدّ التَّحليلُ الدِّلاليّ في التفريقِ بينَ الجُمَل : جاءَنِي زَيْدٌ وَهُوَ يُسْرِعُ ، وجاءَنِي زيد وَهُوَ مُسْرِعٌ ، وجاءَني زيدٌ يُسرعُ ، فيرى أَنَّ إثباتَ الإسراعِ وضمَّه فِي الجُملةِ الثالثةِ أشدُّ وأضمُّ منهُ فِي الجملتينِ الأُوليتينِ ، وسببُ ذلكَ أنَّ المَعْنى فيهِما عَلى استئنافِ إثباتِ للسُرعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذلكَ فِي جاءَني زيدٌ يُسْرِعُ ، إذْ لَا نَجِدُ سبيلًا إلى أنْ تُدخِلَ (يسرعُ) فِي جملةِ الإثباتِ فيهما (الجرجاني، 2001، ص138)

وتَتَعالَى القِيمةُ التَّواصُليّةُ الإبلاغيّةُ فِي تحليلِهِ النَّظم القرآني :﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ [سورة الكهف/18] ، إذْ أَشارَ إلى القيمةِ التواصُليّةِ الّتي يؤدّيها الاسْمِ بخلافِ الفِعْل باعتباره يَدلُّ عَلى الثبّاتِ والحُصولِ ، قَال : « فإنَّ أَحَداً لا يَشكُّ في امتناعِ الفِعْلِ ههنا، وأنَّ قولَنا: (كَلبُهم يبسُطُ ذراعَيه) ، لا يؤدِّي الغرضَ، وليسَ ذلكَ إلاَّ لأنَّ الفِعْلَ يقتضي مزاولةً وتجدُّدَ الصفةِ في الوقتِ، ويَقْتضي الاسم ثُبوتَ الصِّفةِ وحُصولها مِنْ غيرِ أنْ يكونَ هناكَ مُزاولةٌ و تَزْجيةُ فِعْلٍ، وَمَعْنَىَ يَحْدُثُ شيئاً فشيئاً. ولا فرْقَ بينَ (وكَلبُهُم باسِطٌ) ، وبينَ أن يقولَ: (وكلْبُهُمُ واجِدٌ) مثلاً في أَنَّك لا تُثْبِتُ مُزاولةً، ولا تَجعلَ الكَلْبَ يفعلُ شيئاً، بَلْ تُثْبِتهُ بصفةٍ هُوَ عليها. فالغرضُ إذنْ تَأديةُ هيئةِ الكَلْبِ » (الجرجاني، 2001، ص118) ويرسم

الجُرْجَانِي حقيقةً لسانيّةً مفادُهَا « أنَّهُ لَا سبيلَ إلى أنْ تعرضَ صِحَّةَ هذهِ الجُمْلةِ حَتَّى يَبْلُغَ القولُ غايتَه، ويَنْتهيَ إلى آخِرِ ما أَرَدْت جَمْعَه لكَ، وتصويرهُ فِي نفسِكِ، وتقريرهُ عندَكَ» (الجرجاني، 2001، ص 36)

ولا رَيْبَ أنَّ اكتشاف القُدرات التعبيريّة التواصلية للجُمَلِ و التّراكيبِ يُحقّق أَبْعادًا جماليّةً و فنيةً.

4ـ خاتمة:

بَعْدَ هِذهِ الرّحلة التَواصُليّة الإبلاغيّة فِي مدونةِ رائدٍ مِنْ رُوادِ التنظيرِ فِي الحَضارةِ العربيّةِ –الشيّخِ عبدِ القاهِر الجُرْجَانِي– نَنْتَقِي أَهمَّ قِطافِ هذهِ الرّحلة وثِمارها.

أولًا: إنَّ الإحاطةَ بالمثلثِ التَّواصُليّ الإبلاغيّ (المُتكلّم والمُتلقِي والرّسالة اللّسانيّة) فِي كتابِ (دَلَائِل الإعجَاز فِي عِلْمِ المَعَانِي) ، تُعَدُّ أبوابًا فُتُّحًا فِي الدَّرْسِ اللُّغويّ القَديمِ تَارَةً ، ومنافذَ وسيعةً في إعمالِ الاجْتِهادِ اللُّغويّ لسيرورةِ البحث اللُّغويّ المُعاصِرِ المنفتح على المَجَالاتِ التداوُليّة والاسْتِعْمَاليّة .

ثانِيًا: المَنْهَجَ الجُرْجَانِي ينشد القِيمةِ التّواصُلية ، ويرصد الثَّمرة الإبلاغيّة للنَّظْمِ الكلاميّ سَواء أَكانَ نظمًا قرآنيًا ، أَم نظمًا استعماليًا شعراً ونثراً يُفْضِي إلى ثِمارٍ خصيبةٍ فِي تكشيفِ جدليّةِ التَّطورِ والتفاعُلِ فِي الدَّرسِ اللِّسانِي المُعاصِرِ ، والإفْصَاحِ عَنْ مَجَالاتِ التَّلقِي والتَّداوُل وملاطفتِها .

ثالِثًا: أَكَّدَ الجُرْجَانِي على قضيةِ الاقترانِ التَّواصُليّ بين المُتكلّم (مُنْتِجِ الخِطابِ) فاعِلِهِ ، والسَّامِعِ (المُتلقي) ، بَلْ يُعدّ مِنْ المُؤسسينَ لِهذهِ النَّظريةِ (الاقترانُ التَّواصُلي) ، إذْ لَا يُمكِنُ تصوّر الحُكْم التَّواصُلي و الإبلاغيّ بمعزلٍ عَن الاقترانِ بالمُتلقِي وَإلّا كانَ الكلامُ لغوًا وعبثًا ، على الرَّغم من أنَّ الجُرْجَانِي قد تحصّل لديهِ أنَّ مِحْورَ الدَورانِ الحَلَزُونِيّ فِي جهازِ التَّواصُلِ هُو (المُخبِرُ) المُتكلّم .

رابِعًا: انتصرَ عبدُ القاهِر الجُرْجَانِي للنَّظم القرآنيّ بوصفِهِ وَجْهًا مِنْ وُجوهِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، هذا النَّظمُ الّذي فَاقَ وَعَلَا سائِرَ النّظُوم ، واصْطَدَم بـ(أُفقِ التَّوقُعِ) المَحدُود للبيانيينَ العَرَبِ (قبلَ الإسلامِ).

خَامِسًا: بَدَا لَنَا فِي ضَوءِ القِراءَةِ المتفحّصة لِمُدونَةِ الجُرْجَانِي (دَلائِل الإعْجَازِ فِي عِلْمِ المَعَانِي) أنَّ الجُرْجَانِي قَدْ أَسَّسَ قَواعِد بلاغيّة ولِسَانيّة ذَهبية تُعَدّ أساسياتٍ راسخة وَجذور أَصيلة فِي الدَّرْسِ اللُّغَوي القَديمِ وَالمُعَاصِر .

5- قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1. **ابنُ الأثير**، ضياءُ الدين نصر الله بن محمّد،(د .ت).المثلُ السائرُ في أدبِ الكاتِب والشاعِر، تحقيقُ: أحمد الحُوفيّ، بَدَوي طبانَة، القاهِرة–الفَجّالة، دار نهضةِ مِصر للطباعَةِ والنشر والتوزيع.
2. **الجَاحِظ**، عَمْرو بن بَحْر،(1968).البَيَان والتَبيين: تحقيق المحامي فوزي عطوي، ط1، بيروت، دار صعب.
3. **بوجراند**، روبرت، (2007)، النَّصُّ والخِطابِ والإجراءِ ترجمة: د. تَمّام حَسّان، ط2، القاهِرة،عَالمُ الكُتُبِ.
4. **الجُرْجَانِي**، عبد القاهِر بن عبد الرحمن بن محمّد(2001)، دلائِلُ الإعجازِ فِي عِلْمِ المَعانِي: تحقيق عبد الحميد الهنداويّ،ط1 بيروت.دارُ الكتبِ العلميّة.
5. **الجُرجَانِي**،عبدُ القاهِر بن عبد الرَّحمن بن مُحَمّد (د.ت).أَسرارُ البلاغَةِ: قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر. القاهرة، مطبعةُ المدني، دار المدنيب، جدّة.
6. **جهلان**، محمّد بن أحمد. (2008)، فعاليةُ القِراءة وإشكالية تحديد المَعْنى في النَّص القرآني، ط1، دمشق، دار صفحات.
7. **الحسناوي**، رجاء، (2017)، اللّغةُ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفس عربيةٌ إضاءةُ سيبويه فِي مدوّنتِهِ، مجَلةُ دَواة. المُجَلد 3،العَدَدُ 11.
8. **الخُرَّيْمِيّ**، إسحاق بن حسان بن قوهي (1971)، ديوان الخُرَّيْمِيّ: جَمَعَهُ وحَقَّقَهُ د. عليّ جواد الطاهِر ومحمّد جبّار المُعيبد، بيروت–درعون–مطبعةُ الإيمان.
9. **سعود**،إيهاب، (2019)، فاعليةُ العلاقات النَّحوية في تداولية النَّص.جامعةُ القاهِرةِ شبكةُ، الألوكة، قسمُ الكتبِ .
10. **سيبويه**، عثمان بن قنبر، (د. ت). كتاب سيبويه تحقيق : عبد السّلام محمّد هارون. بيروت،عالم الكتب.
11. **الفَحّام**،عبّاس عليّ، (2017)، مصادرُ القُوّةِ والضّعف في حياةِ العربيَة، مجَلة دَواة، المُجَلد 3 ، العدد 11 .
12. **محمّد**،أحمد عاطف، (2013)، منهجُ الإمام عبد القاهِر الجُرْجَانِي في عرضهِ المسائل النَّحويّة دراسةٌ تحليليةٌ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة،كليّة الآداب، غزّة.
13. **المسدّي**، عبد السَّلام، (1986)، التفكيرُ اللّساني فِي الحضارة العربيّة، ط2، ليبيا،الدار العربيّة للكتبِ، ط2.
14. **مقران**، يوسف، (2010)، الدَّرسُ المصطلحيُّ واللّسانيات، المجلةُ الأكاديميةُ للدراساتِ الاجتماعيةِ ،العَدَدُ 4
15. **ميلاد**،خالد، (2001). الإنشاء في العربيّة بينَ التَّرْكِيبِ والدّلالة: (دراسةٌ نحويّة تداوليّة) ط1 تونس.المؤسسةُ العربيّةُ للتوزيع.
16. **ناصِف**، مُصْطفَى، (1995)، الكلامُ والتفسيرُ والتواصلُ، الكويتُ.عالَمُ المَعْرفَةِ.
17. **هانس**، روبيرت ياوس. (2004)، جماليةُ التلقيّ: (مِنْ أَجلِ تأويلٍ جديدٍ للنَّص الأَدبي) ترجمةُ رشيد بن حدو، ط1.مصر، المَجْلسُ الأَعلى للثقافةِ.